

## سورة الطلاق

معانى الكلمات :

أحصوا : اضبطوا .

بفاحشة مبينة : بمعصية كبيرة ظاهرة .

بلغن : قاربن .

فأمسكوهن : فأبقوهن .

يوعظ به : ينتفع به .

لا يحتسب : لا يخطر بباله .

حسبه : كافيه .

قدرا : أجلاً ينتهى إليه .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نستشعر خطورة شأن الأسرة في الإسلام .

٢ - أن نعلم أن الأصل في الرابطة الزوجية هو الاستقرار والاستمرار .

٣ - أن نتعرف على حكم مراجعة الزوجة المطلقة وعدة المطلقات .

## المحتوى التربوي :

يقف الإنسان مدهوشاً أمام هذه السورة ، وهي تتناول أحكام هذه الحالة ومتخلفاتها ، وهي تحشد للأمر هذا الحشد العجيب من الترغيب والترهيب ، والتعقيب على كل حكم ، ووصل هذا الأمر بقدر الله في السموات والأرضين ، وسنن الله في هلاك العاتين عن أمره ، وفي الفرج والسعة لمن يتقونه ، وتكرار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإيثار الجميل ، والإطعام في الخير ، والتذكير بقدر الله في الخلق وفي الرزق ، وفي اليسر والعسر .

يقف الإنسان مدهوشاً أمام هذا الحشد من الحقائق الكونية الكبرى في معرض الحديث عن الطلاق أمام هذا الاحتفال والاهتمام ، حتى ليوجه الخطاب إلى النبي ﷺ بشخصه ، وهو أمر عام للمؤمنين وحكم عام للمسلمين ، زيادة في الاهتمام وإشعاراً بخطورة الأمر المتحدث فيه ، وأمام هذا التفصيل الدقيق للأحكام حالة حالة ، والأمر المشدد في كل حكم بالدقة في مراعاته ،

وتقوى الله في تنفيذه ، ومراقبة الله في تناوله ، وإن هذا له عدة دلالات تجتمع كلها عند سمو هذا الدين وجديته ، فهو يدل ابتداء على خطورة شأن الأسرة في النظام الإسلامى ، فالإسلام نظام أسرة ، البيت في اعتباره مثابة ومسكنًا في ظله تلتقى النفوس على المودة والرحمة والتعاطف والستر والتجمل والحصانة والطهر ، وفي كنفه تنبت الطفولة ، وتدرج الحداثة ، ومنه تمتد وشائج الرحمة وأواصر التكافل ، وللاحتفال بشأن العلاقات الزوجية والعائلية هذا الاحتفال في القرآن كله ، هى اتجاه النظام الإسلامى لرفع هذه العلاقات الإنسانية إلى مستوى القداسة المتصلة بالله ، واتخاذها وسيلة للتطهر الروحى والنظافة الشعورية .

ونستعرض أحكام السورة وهى شىء آخر غير التلخيص ؛ شىء حى فيه روح وفيه حركة وفيه حياة وفيه إحياء وله إيقاع ، وهذا هو أول حكم يوجه الخطاب به إلى النبى ﷺ ثم يظهر أن الحكم خاص بالمسلمين لا بشخصه ﷺ ، وأن إيقاع الطلاق يستلزم وقتا معينا ، وأنه ليس للزوج أن يطلق حينما شاء إلا أن تكون امرأته فى حالة طهر من حيض ، ولم يقع بينهما فى هذا الطهر وطء ، أو أن تكون الزوجة حاملا بينة الحمل ، والحكمة فى ذلك التوقيت هى :

أولا : إرجاء إيقاع الطلاق فترة بعد اللحظة التى تتجه فيها النفس للطلاق ، وقد تسكن الفورة إن كانت طارئة وتعود النفوس إلى الرثام ، كما أن فيه تأكدا من الحمل أو عدمه قبل الطلاق ، فقد يمسك عن الطلاق لو علم أن زوجه حامل ، فإذا مضى فيه وقد تبين حملها دل على أنه مريد له ولو كانت حاملا ، فاشتراط الطهر بلا وطء هو لتحقيق من عدم الحمل ، واشتراط تبين الحمل هو ليكون على بصيرة من الأمر .

وهذه أول محاولة لرأب الصدع فى بناء الأسرة ، ومحاولة رفع المعول عن ذلك البناء .

وليس معنى هذا أن الطلاق لا يقع إلا فى هذه الفترة فهو يقع حينما طلق ، ولكنه يكون مكروها من الله ، مغضوبا عليه من رسول الله ، وهذا الحكم يكفى فى ضمير المؤمن ليمسك به حتى يأتى الأجل ، فيقضى الله بما يريد فى هذه المسألة ، واحفظوا العدة واعرفوا ابتداءها وانتهاءها ، لثلاث تطول على المرأة فتمنع من الأزواج ، ويأتى التنبيه بتقديم تقوى الله ، وفى مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه ، فليس للرجل أن يخرجها ، ولا يجوز لها أيضا الخروج ، لأنها معتقلة لحق الزوج أيضا ، فلا تخرج المرأة إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة ، فتخرج من المنزل ، والفاحشة المبينة : تشمل الزنا ، وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بذأت على أهل الرجل وآذتهم فى الكلام والفعال ، وتلك شرائع الله ومحارمه ومن يخرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا يأتمرها فقد ظلم نفسه بفعل ذلك ، وقد تتغير الأحوال وتبدل إلى هناءة ورضا ، فمن ذا الذى يعلم غيب الله وقدره المخبوء وراء أمره بالعدة ، وأمره ببقاء المطلقات فى بيوتهن .

وإذا بلغت المعتدات العدة وقاربن ذلك ولكن لم تفرغ العدة بالكلية ، فحيثئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها ، وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده ، محسنا إليها فى صحبتها ، وإما أن يعزم على مفارقتها من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف ، بل

يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن ، وعند الرجعة والفرقة أشهدوا من يُرضى دينها وأمانتها ، وهذا الأمر من الإشهاد وإقامة الشهادة إنها يأتمر به من يؤمن بالله وأنه شرع هذا ويخاف عقاب الله في الدار الآخرة .

ومن يتق الله فيما أمره به يجعل له مخرجاً من الضيق في الدنيا والآخرة ، ورزقاً من حيث لا يقدر ولا ينتظر ، ولكن إلصاقها هنا بأحكام الطلاق يوحى بدقة انطباقها وتحقيقها عندما يتق المتقون الله في هذا الشأن بصفة خاصة ، وهو الشأن الذي لا ضابط فيه أحسن ولا أدق من ضابط الشعور والضمير ، فالتلاعب فيه مجاله واسع ، لا يقف دونه إلا تقوى الله وحساسية الضمير ، ومجال الكيد في هذه العلاقة واسع ، ومسالكه كثيرة ، وقد تؤدي محاولة اتقاء الكيد إلى الكيد ، فهنا إيجاء بترك هذه المحاولة ، والتوكل على الله ، وهو كاف لمن يتوكل عليه ، فالله بالغ أمره ، فما قدر وقع ، وما شاء كان ، فالتوكل عليه توكل على قدرة القادر ، وقوة القاهر الفعال لما يريد ، البالغ ما يشاء ، وكل شيء مقدر بمقداره وبزمانه وبمكانه ، وبتأثيره ، وأسبابه ، وليس شيء مصادفة في هذا الكون كله ، وفي نفس الإنسان وحياته ، وهي حقيقة ضخمة يقوم عليها جانب كبير من التصور الإيماني .

ويذكر السياق تحديد مدة العدة لغير ذوات الحيض والحمل ، يشمل اللواتي انقطع حيضهن ، واللاتى لم يحضن بعد لصغر أو لعلة ، ذلك أن المدة التي بينت في سورة البقرة من قبل كانت تنطبق على ذوات الحيض وهي ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار من الحيضات ، حسب الخلاف الفقهي في المسألة - فأما التي انقطع حيضها والتي لم تحض أصلاً فكان حكمها موضع لبس : كيف تحسب عدتها؟ فجاءت هذه الآية تبين وتنفي اللبس والشك ، وتحدد ثلاثة أشهر لهؤلاء وهؤلاء ؛ لا شراكهن في عدم الحيض الذي تحسب به عدة أولئك .

أما الحوامل فجعل عدتهن هي الوضع ، طال الزمن بعد الطلاق أم قصر ، ولو كان أربعين ليلة فترة الطهر من النفاس ؛ لأن براءة الرحم بعد الوضع مؤكدة فلا حاجة إلى الانتظار ، والمطلقة تبين من مطلقها بمجرد الوضع ، فلا حكمة في انتظارها بعد ذلك ، وهي غير قابلة للرجعة إليه إلا بعقد جديد على كل حال ، وقد جعل الله لكل شيء قدراً ، فليس هناك حكم إلا وراء حكمة ، والله يسهل للمتقين أمورهم ، وهذا حكم الله أنزله إليكم بواسطة رسوله ﷺ ، والذي يتق الله يذهب عنه المحذور ، ويجزل له الثواب على العمل اليسير .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - اهتمام الإسلام بأمر الأسرة وحفاظه على تماسكها وصيانتها لها من كل عوامل الهدم والتصدع .

٢ - تقوى الله ومراقبته والالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية يؤدي إلى السعادة في الدنيا والآخرة .

٣ - التوكل على الله هو تفويض الأمر إليه مع اتخاذ الأسباب والسعى لطلب الرزق .

## معاني الكلمات :

- وجدكم : وسعكم وطاقتكم .  
 وأتمروا : وتشاوروا في الأجرة  
 والرضاع .  
 تعاسرتم : تضايقتم .  
 سعة : غنى وطاقه .  
 قدر عليه : ضيق عليه .  
 عنت : تجبرت وتكبرت .  
 وبال أمرها : سوء عاقبة عتوها .  
 ذكرا : قرآناً .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم تفضيل مسألة الإقامة في البيوت ، والإنفاق في فترة العدة ، وقدر هذه النفقة .
- ٢ - أن نستشعر العبرة في مصير الذين عتوا عن أمر ربهم وكانوا من الكافرين .
- ٣ - أن نعلم أن هذا الدين جاء لينشئ جماعة مسلمة ذات نظام خاص .

## المحتوى التربوي :

يأتى البيان الأخير لتفضيل مسألة الإقامة في البيوت ، والإنفاق في فترة العدة ، على اختلاف مدتها ، فالأمور به هو أن يسكنوهم مما يجدونهم من سكنى ، لا أقل مما هم عليه في سكناهم ، وما يستطيعون حسب مقدرتهم وغناهم ، غير عامدين إلى مضاربتهم سواء بالتضييق عليهن في فسحة المسكن أو مستواه ، أو في المعاملة فيه ، وخص ذوات الأحمال بذكر النفقة - مع وجوب النفقة لكل معتدة - لتوهم أن طول مدة الحمل يحدد زمن الإنفاق بيعضه دون بقيته ، أو بزيادة عنه إذا قصرت مدته ، فأوجب النفقة حتى الوضع ، وهو موعد انتهاء العدة لزيادة الإيضاح التشريعى .

ثم فصل مسألة الرضاعة فلم يجعلها واجبا على الأم بلا مقابل ، فما دامت ترضع الطفل المشترك بينهما ، فمن حقها أن تنال أجراً على رضاعته تستعين به على حياتها وعلى إدرار اللبن للصغير، وهذا منتهى المراعاة للأم في هذه الشريعة، وفي الوقت ذاته أمر الأب والأم أن يأتمرا بينهما بالمعروف في شأن هذا الوليد ، ويتشاورا في أمره ورائدهما مصلحته وهو أمانة بينهما ، فلا يكون فشلهما في حياتهما نكبة على الصغير البريء وهذه هي المباشرة التي يدعوها الله إليها ، فأما إذا تعاسرا ولم يتفقا بشأن الرضاعة وأجرها ، فالطفل مكفول الحقوق وسترضع له أخرى ، دون اعتراض من الأم ودون تعطيل لحق الطفل في الرضاعة بسبب تعاسرها بعد فشلها .

ثم يفصل الأمر في قدر النفقة فهو اليسر والتعاون والعدل لا يجوز هو ، وتتعتن هي ، فمن وسع الله عليه رزقه فلينفق عن سعة ؛ سواء في السكن أو في نفقة المعيشة أو في أجر الرضاعة ، ومن ضيق عليه في الرزق فليس عليه من حرج ، فالله لا يطالب أحداً أن ينفق إلا في حدود ما آتاه ، فهو المعطى ولا يملك أحد أن يحصل على خير مما أعطاه الله ، فليس هناك مصدر آخر للعطاء غير هذا المصدر ، وليست هناك خزانة غير هذه الخزانة ، والأمر منوط بالله في الفرج بعد الضيق ، واليسر بعد العسر ، فأولى لهما إذن أن يعقدا به الأمر كله ، وأن يراقباه ويتقياه والأمر كله إليه ، وهو المانح المانع ، ويده الضيق والفرج والشدة والرخاء .

وإلى هنا يكون قد تناول سائر أحكام الطلاق ومتخلفاته ، وتتبع كل أثر من آثاره حتى انتهى إلى حل واضح ، ولم يدع من البيت المتهدم أنقاضاً ولا غباراً يملأ النفوس ويغشى القلوب ، وكذلك يكون قد عالج جميع الوسواس والهواجس التي تثور في القلوب ، فتمنعها من السباحة والتيسير والتجمل للأمر ، فأبعد أشباح الفقر والضيق وضياح الأموال من نفس الزوج إذا هو أسكن وأنفق ووسع على مطلقة أو مرضعة ولده ، ومن نفس الزوجة التي تضيق بنفقة الإعسار أو تطمع في زيادة ما تصيب من مال زوجها السابق ، فأكد اليسر بعد العسر لمن اتقى ، والرزق من حيث لا يحتسب ، وفوق رزق الدنيا رزق الآخرة والأجر الكبير ، وإن الزوجين ليفارقان في ظل تلك الأحكام والتوجيهات وفي قلوبهما بذور للود لم تمت .

وإذا انتهى السياق من هذا كله ساق العبرة الأخيرة في مصير الذين عتوا عن أمر ربهم ورسله، فلم يسمعوا ولم يستجيبوا ، وعلق هذه العبرة على الرؤوس ، تذكرهم بالمصير البائس الذي ينتظر من لا يتقى ولا يطيع ، كما تذكرهم بنعمة الله على المؤمنين المخاطبين بالسورة والتشريع .

وأخذ الله لمن يعتو عن أمره ولا يسلم لرسله هو سنة متكررة، وتفصيل أخذها وذكر الحساب العسير والعذاب النكير ، ثم تصوير العقابة وسوء المصير ، ثم تأخير صورة هذه العقابة الخاسرة في الآية التالية ، كل هذا لإطالة المشهد وتفصيل خطواته ومراحله ، ونرى في هذا التحذير أن الله أخذ القرى واحدة بعد واحدة كلما عتت عن أمر ربها ورسله .

يقول صاحب الظلال : « ونجد هذا التحذير يساق هنا بمناسبة الطلاق وأحكامه ، فيرتبط الطلاق وأحكامه بهذه السنة الكلية ، ويوحى هذا الارتباط أن أمر الطلاق ليس أمر أسر أزواج ، إنما هو أمر الأمة المسلمة كلها ، فهي المسؤولة عن هذا الأمر ، وهي المسؤولة فيه عن شريعة الله » .

وتلك القرى ذقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا ، ذاقته في هذه الأرض قبل يوم الحساب الأخير ، وذلك فوق العذاب الشديد الذى ينتظر العتاة عن أمر الله ونهجه في الحياة ، وهذا الدين منهج نظام جماعى ، جاء لينشئ جماعة مسلمة ذات نظام خاص ، وجاء ليصرف حياة هذه الجماعة كلها ، ومن ثم فالجماعة كلها مسؤولة عنه ، مسؤولة عن أحكامه ، ولن تخالف عن هذه الأحكام حتى يحق عليها هذا النذير الذى حق على القرى التى عتت عن أمر ربها ورسله ، وفي مواجهة هذا الإنذار ومشاهدته الطويلة يهتف بأولى الألباب الذين آمنوا ، الذين هدتهم ألبابهم إلى الإيمان ، يهتف بهم ليتقوا الله الذى أنزل لهم الذكر ، ويجسم هذا الذكر ويمزجه بشخص الرسول ﷺ ، فيجعل شخصه الكريم هو الذكر ، وكأن الذكر نفذ إليهم مباشرة بذاته ، لم تحجب شخصية الرسول شيئا من حقيقة ، أو أن شخصية الرسول ﷺ قد استحالت ذكراً ، فهي صورة مجسمة لهذا الذكر صنعت به فصارت هو ، وهو ترجمة حية لحقيقة القرآن ، وفوق نعمة الذكر والنور والهداية والصلاح وعد بنعيم الجنات خالدين فيها أبداً ، وتذكير بأن هذا الرزق ولكن رزقا خيرا من رزق ، واختياره للأحسن هو الاختيار الحق الكريم .

وتأتى الإشارة إلى الكون الهائل ، فقد خلق الله سبع سموات ومن الأرض مثلهن ، ويقف القلب وجها لوجه أمام مشهد من مشاهد قدرة الخالق وسعة ملكه ، تصغر أمامه هذه الأرض كلها ، فضلا على بعض ما فيها ، فضلا على حادث من أحداثها ، وبين هذه السموات السبع والأرضين السبع يتنزل أمر الله ؛ لينشئ في قلب المؤمن عقيدة أن الله على كل شيء قدير ، فلا يعجزه شيء مما يريد ، وأنه أحاط بكل شيء علما ولهذه اللمسة قيمتها هنا من وجهين :

الأول : أن الله الذى أحاط بكل شيء علما ، هو الذى يأمر بهذه الأحكام ، فقد أنزلها وهو يحيط بكل ظروفهم وملابساتهم ومصالحهم واستعداداتهم ، فهم أولى بالاتباع .

والثانى : أن هذه الأحكام بالذات موكولة إلى الضمائر ، فالشعور بعلم الله واطلاعه على كل شيء هو الضمان لحساسية هذه الضمائر .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - تحذير الأزواج من الإضرار بزواجهم والتضييق عليهن بأية وسيلة من الوسائل .
- ٢ - سنة الله التى لا تتخلف في عقاب المفسدين الطاغين ، والخارجين عن طاعة الله ورسوله .
- ٣ - الإيمان شرط لقبول الأعمال الصالحة .